التفكير الابتكاري في المؤسسة

بين فلسفة المفهوم و آلية التطبيق

أ. د. لونيس علي

قسم علم النفس وعلوم التربية و الارطفونيا، جامعة سطيف 2، الجزائر.

- الملخص:

تعتبر المنظمة الإطار المهني الذي يعمل الفرد (العامل) من خلاله على القيام بعدد من الأنشطة و السلوكات المتكاملة لأجل تحقيق الإشباع الخاص بمجمل حاجاته و رغباته اليومية، و من هذا المنطلق فانه ضروري جدا أن يتم اعتماد ميكانيزمات تنمية هذا الفرد العامل الذي يعتبر كأهم مورد في العملية الإنتاجية والخدماتية من خلال تطوير تصوراته و مهارته خصوصا في خضم الثورة التكنولوجية الحاصلة و التي تفرض على المنظمة كإطار شامل أن تتماشى مع مختلف التطورات الحاصلة في البيئة الحالية و العالمية، و لعل من بين أهم و أنجع الآليات التي يجب الاعتماد عليها في هذا الإطار نجد التفكير الابتكاري الذي احتل الدور المحوري في ترقية و تطوير مختلف المنظمات العالمية، من خلال التركيز على الفرد كمورد بشري هام لتفعيل هذا التطور وتحقيق الجودة بمستوياتها الشاملة و لكن: هل فعلا هناك فهم واضح لفلسفة هذا التفكير الابتكاري لدى المسؤولين والأفراد في المنظمة؟ وإلى أي مدى يمكن تطبيق واعتماد هذا التفكير الابتكاري في ظل الواقع التنظيمي المعاش في المنظمة؟

- الكلمات المفتاحية: التفكير الابتكاري -تنمية.

-Résumé :

L'organisation c'est le cadre ou l'espace organisationnel ou l'employé (travailleur) peut effectuer et exercer un certains nombres de ses activités et cela dans le but de réaliser une telle satisfaction de ses différents besoins, Et autant qu'il est considérer comme le variable le plus important dans l'organisation (milieu de travail), il est très nécessaire d'adopter des mécanismes multiples pour développer ses activités et ces compétences. Et parmi ces mécanismes on trouve la pensée novatrice qui est un des supports du développement et la réalisation des objectives organisationnels On mettant l'accent sur l'individus comme une ressource humaines. Mais est-il réellement une vrais compréhension claire de la philosophie de cette pensée novatrice chez les responsables ou les dirigeants des organisations? Et a quel niveau on peut adopter cette stratégie dans un climat organisationnel ?

-Mots clés: pense novatrice - organisation

- مقدمة:

تعتبر المنظمة الإطار المهني الذي يعمل الفرد (العامل) من خلاله على القيام بعدد من الأنشطة والسلوكات المتكاملة لأجل تحقيق الإشباع الخاص بمجمل حاجاته و رغباته اليومية، ومن هذا المنطلق فانه ضروري جدا أن يتم اعتماد ميكانيزمات تنمية هذا الفرد العامل الذي يعتبر كأهم مورد في العملية الإنتاجية والخدماتية من خلال تطوير تصوراته ومهارته خصوصا في خضم الثورة التكنولوجية الحاصلة والتي تفرض على المنظمة كإطار شامل أن تتماشى مع مختلف التطورات الحاصلة في البيئة الحالية و العالمية، و لعل من بين أهم و أنجع الآليات التي يجب الاعتماد عليها في هذا الإطار نجد التفكير الابتكاري الذي احتل الدور المحوري في ترقية و تطوير مختلف المنظمات العالمية، من خلال التركيز على الفرد كمورد بشري هام لتفعيل هذا التطور وتحقيق الجودة بمستوياتها الشاملة.

- مفهوم التفكير الابتكاري:

يعتبر التفكير الابتكاري عملية عقلية جد معقدة و مركبة، تدفعها قوة كبيرة للبحث عن حلول و نتائج تضيف قيمة ايجابية لم يكن الفرد يعرفها من قبل. وهو يعمل باستمرار على تنمية مختلف الأفكار الجديدة لدى الفرد واختيار أنجعها وأجودها لمواجهة مختلف المواقف الطارئة والحرجة سواء في حياته الخاصة أو المهنية لتحقيق التكيف والأمن والطمأنينة في حياته.

هناك تعاريف عديدة للتفكير الابتكاري نذكر البعض منها فيما يلي:

عرف السيد خير الله، التفكير الابتكاري بأنه قدرة الفرد على الإنتاج إنتاج يتميز بأكبر قدر ممكن من الطلاقة الفكرية والمرونة التلقائية و الأصالة و التداعيات البعيدة أو الحساسية للمشكلات كاستجابة لمشكلة أو موقف مثير (السيد، 1975، ص05).

في حين عرف محمود عبد الحليم منسي، التفكير الابتكاري بأنه القدرة على إنتاج أشياء جديدة من عناصر قديمة وهذه القدرة تتميز بالطلاقة والمرونة والأصالة (منسي، 1993، ص، 29).

تعريف فروم، التفكير الابتكاري هو: "إنتاج شيء جديد يظهر في صورة ملموسة ويمكن أن يسمع و يرى كالتصوير والنحت والموسيقى والشعر...الخ وهذا المعنى للابتكار مشروط بعدد من العوامل منها: الموهبة، الدراسة، الممارسة وأيضا العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي تساعد الفرد على تنمية قدراته (Vroom, 1959, p 44-45).

تعريف جتزيلس وجاكسون، التفكير الابتكاري هو:"القدرة على إنتاج أنماط جديدة وربط عنصرين كان يظن أنهما غير متشابهين واكتشاف معاني جديدة لها قيم اجتماعية Getzels, Jackson, 1992, p 15-18).

- مكونات التفكير الابتكاري:

يمكن تحديد و بشكل عام مكونات التفكير الابتكاري والتي هي في الأساس مجموعة من القدرات العقلية ذات الأهمية والفعالية و التي يمكن ذكرها فيما يلي:

أ- المرونة: يمكن تحديد المرونة على أساس أنها مقدرة الفرد على إنتاج عدد من الأفكار المتنوعة بالإضافة إلى تحويل مسار اتجاه تفكيره من مدخل إلى آخر بالاستعمال والاعتماد على كم متنوع من الآليات والاستراتيجيات والميكانيزمات (الكناني، 2000، ص 50).

كما يمكن في هذا الإطار تحديد شكلين أساسين من المرونة:

- المرونة ذات البعد التلقائي: والتي تتجسد في سرعة إنتاج أكبر عدد ممكن من الأفكار المتنوعة المرتبطة بموقف أو ظاهرة معينة دون ان يطلب منا ذلك، بمعنى الفرد هنا تكون له روح المبادرة والمبادأة في طرح هذه الأفكار وتقديمها (الحمادي، 2010، ص 65).

- المرونة ذات البعد التكيفي: و التي تتجسد في القدرة والاستطاعة على إجراء تغييرات وتحسينات محددة في موقف أو ظاهرة معينة بمعنى العمل على تقديم حلول متعددة لعدد من المشاكل المطروحة

ب- الأصالة: والتي تعني تلك القدرة على سرعة إنتاج و تقديم اكبر عدد ممكن من الاستجابات الممكنة بشكل مباشر أو غير عادي والطريف في الوقت نفسه، كما انه بالإمكان تحديدها على أنها ذلك الإنتاج التباعدي لتحويلات المعاني (بن معتوق، 2009، ص 45).

ج- الطلاقة: و التي نعني بها تلك العملية المتضمنة للقدرة على إنتاج مجموعة كبيرة من الأفكار المناسبة حول ظاهرة أو موضوع محدد في حيز زماني ثابت مقارنة بغيره للإشارة فان العالم وليامز (1972) عمد على إضافة مكونا آخر يعتبره مهما جدا في عملية التفكير الابتكاري و المتمثل في إعطاء تلك التفاصيل و المترجمة في الاستطاعة والقدرة على تقديم اكبر عدد ممكن من المعلومات و بإسهاب كبير أيضا تخص قضية أو موقف أو إنتاج ما (مسيحة و آخرون،2000، ص13).

- النظريات المفسرة للتفكير الابتكاري:

1- النظرية السلوكية والارتباطية:

يعتقد علماء هذا النوع من النظريات أن الفعل الإنساني هو عبارة عن علاقة قائمة بالأساس بين ما يعرف بالمثير والاستجابة بالخصوص في حال كون هذه الأخيرة تميز بالإبداع و الابتكار، بحيث تعمل وبشكل فعال على تركيب وبناء الاستجابات ذات الطابع الإبداعي والابتكاري لدى الفرد عند مواجهة المشاكل أو المواقف الحرجة.

وفي هذا الإطار يرى العالم واطسون أن التفكير الابتكاري هو تعبير عن معناه يتم عندما يكون الفرد أمام موقف حرج وجديد الأمر الذي يحتم عليه القيام بعديد المحاولات لأجل تعلمه كيفية الوصول للحل المناسب انطلاقا من العمل على إيجاد تركيبا جديد (الكناني، 2005، ص 54)

2- النظرية المعرفية والجشتالتية:

يرى أصحاب النظرية المعرفية ان عملية التفكير الابتكاري لا توجد على أساس أنها مجموعة من العلاقات الترابطية بقدر ما هي تجسيد لعديد الطرق المتنوعة لأجل الحصول على أكبر عدد ممكن من المعلومات والبيانات والعمل على تحليلها واستثمارها.

أيضا عملية التفكير الابتكاري هي تلك الطرق و الميكانيزمات المعتمدة في عملية الإدماج بين مختلف هذه المعلومات والبيانات للوصول إلى إمكانية الحصول على حلول في مستوى الجودة و الفعالية لمختلف المشاكل.

بالإضافة إلى هذا فان هذا الاتجاه الفكري والمعرفي يعتمد على عملية الإدراك باعتباره الأساس القاعدي لعملية الابتكار، فالفرد عند إدراكه لأي موقف يجب إن يكون ذو دلالة كلية تشمل جميع المميزات والخصائص، وعلى هذا الأساس فإن بداية عملية التفكير لدى هذا الفرد تكون انطلاقا من صياغة مشكلة الموقف المعاش وعملية الحل يجب أن تمتد لجميع العناصر.

كما أن رواد الاتجاه الجشتالتي يعتبرون أن عملية التفكير الابتكاري ما هي في الحقيقة إلا إعادة بناء للموقف المتمثل والذي يعمل بوضوح على تحديد اتجاه عملية البناء هذه بمعنى هذا أن عملية الابتكار تتجسد في ذاك التفاعل المحفز والحاصل بين مستوى خيال الفرد وبين عديد العمليات العقلية الأخرى (الانتباه، الإدراك...الخ).

3- نظرية العوامل المتعددة :

تفسر هذه النظرية التي يتزعمها العالم سبيرمان العملية الابتكارية اعتمادا على أسس هامة تتمثل في ما يلي:

- أن الفرد يعمل دوما على ضرورة التعرف على مجموعة أحاسيسه و مشاعره وأهدافه المتعددة.

- أن الفرد بإمكانه إدراك العلاقة أو العلاقات بين فكرتين أو اتجاهين وهذا ما يمكن أن نسميه مبدأ إدراك العلاقات.

- أن إدراك الفرد للشيء أو الموقف ومختلف علاقاته، فان عقله بإمكانه الوصول إلى مدرك آخر ذو علاقة ودلالة، وهذا ما يمكن تسميته بمبدأ إدراك المتعلقات (الكناني، 2005، ص 56).

4- النظريات الإنسانية:

إن أصحاب هذا الاتجاه من النظريات (روجرز، فروم...الخ) يعتقدون أن كل الأفراد يمتلكون القدرة و المقدرة على الابتكار و لكن هناك ظروف يجب أن تكون حاضرة لآجل تحقيق نجاح إحداث هذا الابتكار بالمعنى الايجابي والفعال، ولعل من بين تلك الظروف نجد: الوسط الاجتماعي أو البيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها.

فبقدر ما كانت هذه البيئة الاجتماعية خالية من مختلف الضغوط، الإرهاصات و التناقضات بقدر ما كان هؤلاء الأفراد لديهم قوة دافعة للابتكار، وبالتالي هذا ما سيعمل لاحقا على تحقيق الذات لديهم وامتلاك السلامة والصحة النفسية القادرة على تحقيق الشخصية الايجابية البناءة مما يساعد من تحقيق الإشباع الكافي لمختلف الحاجات و الرغبات لديهم

5- نظرية الحل الابتكاري TRIZ:

يرتبط اسم هذه النظرية بالعالم الروسي المشهور هنري التشلر و الذي يعتقد من خلال مختلف تحليلاته و تفسيراته إلى انه و لأجل حل أية مشكلة تطرح أمام الفرد، يجب عليه أن يعمل على اكتشاف وتحديد مختلف التناقضات الموجودة في النظام التقني و لعل هذا ما سيعطي الفرد فرصة الوقوف على النقاط السلبية أو مواطن الخلل، بالتالي يكون لديه قدرة على التخلص منها و القضاء عليها (أبوجادو، 2004، ص 74).

ومن منطلق آخر، نجد أن هذه النظرية هي بشكل واضح عبارة عن منهج منظم ذو توجه إنساني يعتمد بالأساس على أسس معرفية هامة تهدف إلى تحقيق هدف شامل يتمثل في حل المشكلات بشكل يتميز بالابتكار والإبداع.

هذا و نجد أن هذه النظرية تعتمد في أساسها على بنى تحتية معرفية موضوعية ذات طابع علمي ما يمكن من ضمان إنجاح التحكم في مسار اتجاه مختلف عمليات الحل الابتكاري عند مواجهة عديد المشكلات أو المواقف الصعبة والحرجة.

4- ضرورة فهم فلسفة التفكير الابتكاري و إشكالية التطبيق:

إن عملية فهم الفلسفة التي يقوم على أساسها التفكير الابتكاري أمر في غاية الأهمية، ذلك أن هذا يعتبر الجزء الأوفر قيمة في العملية ككل لأن من خلالها ترتسم مختلف الخطوات و التوجهات المستقبلية لهذا التفكير الابتكاري في القدرة على حل المشكلات التي يمكن أن يعيشها الفرد في بيئته المهنية.

ومن هذا المنطلق فان الأمر يرتكز على أن يكون فهم مضامين التفكير الابتكاري كأسس قاعدية تتوفر على معايير الموضوعية والتطبيق الميداني لتحقيق هدف حل المشكلات التي تعترض الفرد بشكل خاص وعملية تحقيق الأهداف المسطرة بشكل عام.

وعليه فان فهم هذه الفلسفة يرتكز عليه إمكانية التطبيق و الممارسة الفعلية في عملية بناء العقل الإنساني القادر على إيجاد الميكانيزمات الضرورية التي تعمل على حل مختلف المشكلات المعاشة، هذه الآليات القائمة في حد ذاتها على عديد العمليات العقلية و السيكولوجية التي تعمل في إطار تفاعلي مستمر وديناميكي.

إن فهم فلسفة اعتماد عملية تنمية مهارات الفرد يعمل على إيجاد فرص عديدة لتحقيق التكيف والانسجام و التعايش الايجابي مع ما يوجد في البيئة المحيطة التي يعيش فيها الفرد انطلاقا من الإدراك الواضح لمختلف مكونات وأجزاء الصورة المرئية التي تتضمن مجموعة المشكلات في تكامل و تعقد.

إن فهم العملية الابتكارية يعبر عن القدرة على تحديد المجال المعرفي والفلسفي لمختلف الطرق المعتمدة والمتاحة لإيجاد الحلول الضرورية للمشكلات و في وقتها، لان بناء تصور الذهني للفرد هو في حقيقة الأمر تركيب منسجم لمختلف المعلومات والبيانات والمعارف المتعددة إضافة إلى مختلف الأشغال والمهام والوظائف الواجب ممارستها من طرف الفرد مع ضرورة اعتماد الفعالية والجودة والتميز.

ونجد أن فهم فلسفة التفكير الابتكاري الصحيح و الجيد يتم من خلالها تجسيد إمكانية التطبيق الميداني و لكن هذا التطبيق مرتبط بعدد من العوامل والأطر التي تعرقله ، فغياب التواصل مع أفراد الآخرين المتواجدين في المؤسسة بالإضافة إلى انعدام التطابق في استخدام الآليات التواصلية المشتركة (اللغة) يعمل على توسيع الفجوة بين الأفراد و عدم نقل الأثر الايجابي لمجموع الأفكار و الاتجاهات ووجهات النظر، و بالتالي الاحتكاك الضروري لإيجاد الحلول المناسبة لمختلف المشكلات، هذا من جهة و من جهة

أخرى فان الاستمرارية و التعود على استعمال عملية التفكير بالصورة النمطية و التي تعمل على الاعتماد على شكل واحد لا أكثر من الحلول بالنسبة لحل المشكلات المصادفة لا تحفز على الاختيار الأمثل للتطبيق الفعلي لعملية التفكير الابتكاري ما يستدعي التدخل لإعادة اتجاه مسار هذا النوع النمطي من التفكير والعمل على تفعيله في ظل المستجدات.

أيضا نجد أن عملية التطبيق و الاعتماد هذه لها علاقة وطيدة بمختلف الأنماط الاجتماعية و الثقافية التي يكتسبها الفرد ومن خلال أيضا مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة، المدرسة...الخ)، و كذا عمليات التقليد والمحاكاة ووفقا لما هو متفق عليه من طرف الأفراد الذين يعيش معهم و كذا لما هو مشكل وموجود كإطار مرجعي يجب الرجوع إليه في كل عملية تخطيط أو بناء، فالمناخ الأسري و العائلي والاجتماعي يؤسس لبناء عقلي و فكري يجعل الفرد يعتمد دوما على التفكير الابتكاري كآلية في تحقيق التكيف و الانسجام بناء على الاختيار الأمثل للطرق لإيجاد حل للمشكلات المطروحة أمام هذا الفرد.

إن عملية الاعتماد او التطبيق للتفكير الابتكاري تعتمد أساسا في درجة نجاح تطبيقها إلى ذلك التناسق و التناغم لمختف العناصر المشكلة لإطار معرفي قادر على توليد مخرجات جديدة تتميز بعدد من المهارات تتميز بالأصالة و الطلاقة و كذا المرونة.

- الخاتمة:

إن التفكير الابتكاري هو عملية ذات الأهمية القصوى والتي ينبغي رعايته والاستثمار فيه من خلال تفعيل البعد المعرفي للفرد والعمل على ضرورة فهم فلسفته بالإضافة إلى تحديد مختلف مساراتها. لتمكين من التطبيق الميداني والممارسة الإجرائية لتقديم حلول لمختلف المشكلات التي يلاقيها الفرد في حياته اليومية وبالخصوص في حياته المهنية و لعل هذا ما يعمل على تفعيل الأداء الوظيفي لديه وتجويده في ظل مختلف المتغيرات والتأثيرات الحاصلة في بيئته التنظيمية داخل مكان العمل.

- المراجع:

1- أبو جادو صالح محمد علي،(2004): تطبيقات عملية في تنمية التفكير الإبداعي،ط1، عمان، الأردن: دار الشروق للنشر و التوزيع.

2- الحمادي محارب علي، (2010): الحل الإبداعي للمشكلات : تطبيقات علمية في تنمية التفكير الإبداعي والمهارات فوق المعرفة، ط1، عمان، الأردن: دار قنديل للنشر والتوزيع.

3- السيد خير الله، (1975): دليل اختبار القدرة على التفكير الابتكاري، القاهرة: مصر، مكتبة الانجلو المصرية.

4- الكناني ممدوح عبد المنعم، (2005): سيكولوجية الإبداع و أساليب تنميته، الطبعة الأولى، عمان، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع و الطباعة.

5- بن معتوق عبد الرحمان، (2009): تقنين اختبار تورانس للتفكير الابتكاري الشكل (ب) على الطلاب الصم و ضعاف السمع في المرحلة المتوسطة بمنطقة مكة المكرمة رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، السعودية.

6- مسيحة مجدي ماهر، آخرون (2000): التفكير الابتكاري لدى طلاب التعليم الفني الصناعي و دور المعلم في تنميته (بحث ميداني)، المركز القومي للبحوث التربوية و التنمية، شعبة بحوث التعليم الفني، القاهرة: مصر.

7- منسي محمود عبد الحليم،(1993): التعليم الأساسي وإبداع التلاميذ، سلسلة التربية و الابداع، ج2، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

8-Getzels, J .W Jackson , P .W,(1992): creativity and intelligence Exploration With Giffed students, mentor Books, London ,NY ,pp :15-1

9-Savransky, S.D,(2000): Engineering of creativity :introduction to TRIZ methodology of inventive problem solving, Baco Ranton, florida, CRCpress LLc

10-Vroom, E, (1959): The creative Attitude, In ,H, (ed) creativity and Its Cultivation, New York, harper of Row, PP :44-45